القصيدة المنفرجة

إشتدّى أزمةُ تنفرجى ... قد آذن ليلُكِ بالبَلَج(١)

وظلامُ الليلِ له سُرُجٌ ... حتى يغشاه أبو السُّرُجِ(٢)

وسحابُ الخيرِ لها مطرٌ ... فإذا جاء الإبَّانُ تجى(٣)

وفوائدُ مولانا جُمَلٌ ... لسروحِ الأنفسِ والمُهَجِ(٤)

ولها أرَجٌ محيى أبدا ... فاقصد محيا ذاك الأرَجِ(٥)

فلربتما فاضَ المحيا ... ببحور الموج من اللُّجَجِ(٦)

والخلق جميعا فى يده ... فذوو سعة وذوو حَرَجِ(٧)

ونزولُهمُ وطُلُوعُهمُ ... فالى دَرَكٍ وعلى دَرَجِ(٨)

ومعايشهمْ وعواقبهمْ ... ليستْ فى المشى على عِوَجِ(٩)

---

(١) الأزمة: الشدة. تنفرجى: تكشفى وتنهبى بمعنى يذهب همّك. آذن: أعلم. البلج: الضياء والإشراق - وفى البيت استعارة للفرج لاشتراكهما فى الإذهاب لأن الضياء يُذهب الظلمة والفرج يذهب الحزن.

(٢) السّرُج: الكواكب. أبو السُّرج: الشمس. قال تعالى: (وجعلنا سراجًا وهاجًا).

(٣) السحاب: الغيم. الإبان: الوقت والحين أى وقت السحاب. تجى: أصله تجىء.

(٤) فوائد: جمع فائدة وهى ما ينتفع به عاجلاً أو آجلاً والمراد: نِعَمُ الله تعالى. لسروح الأنفس والمُهج: السروح بالغداة ضد الرّواح بالعشى، والمراد سروح الأنفس والأرواح لطلب منفعة معاش أو معاد.

(٥) لها: أى للفوائد. أرج: يقال أرج الطيب فاح وانتشر. محيى: باعث للحياة والنشاط. فاقصد محيا: مكان وزمان ذاك الأرج.

(٦) رُبّتما: لغة فى رُبّما والمراد هنا وقت انتشار المحيا. فاض: كثر. المحيا: مكان الحياة. الموج: ما ارتفع من الماء. اللُّجج: جمع لُجّة وهو معظم الماء أو البحر، قال تعالى: (فى بحر لُجّى).

(٧) سعة: يسر. حرج: ضيق.

(٨) درك: أقصى قعر الشىء. درج: جمع درجة وهو المرقاة. والدركات: للنار. والدرجات للجنة.

(٩) المعايش: جمع معيشة، أى فى الدنيا من مطعم وملبس. عواقب: فى الآخرة من سعادة وشقاء. عِوَج: ضد الاستقامة.

حِكَمٌ نُسِجَتْ بِيَدٍ حكَمتْ ... ثم انتسجتْ بالمُنْتَسِجِ[١]

فإذا اقتصدتْ ثم انعرجتْ ... فبمقتصدٍ وبمُنْعَرِجِ[٢]

شهدتْ بعجائبها حُجَجٌ ... قامت بالأمرِ على الحِجَجِ[٣]

ورضا بقضاء الله حجى ... فعلى مركوزته فَعُجِ[٤]

وإذا انفتحت أبوابُ هدًى ... فاعْجَلْ لخزائنها وَلِجِ[٥]

وإذا حاولتَ نهايَتَها ... فاحذَرْ إذ ذاك من العَرَجِ[٦]

لتكونَ من السُّبَّاق إذا ... ما جئتَ إلى تلك الفُرَجِ[٧]

فهناكَ العيشُ وبهجتُه ... فَلَمُبْتَهِجٍ ولَمُنْتَهِجِ[٨]

فهجِ الأعمالَ إذا ركدت ... فإذا ما هِجتَ إذاً تَهِجِ[٩]

ومعاصي الله سماجتُها ... تزدانُ لذى الخُلُقِ السَّمِجِ[١٠]

---

(١) حكم: خبر لمبتدأ محذوف أى: تلك المقدورات حكمٌ وصواب. حَكَمَت: قضت كل الأمور ولا رادَّ لقضائه سبحانه. المُنتسج: العبد الذى قُدِّرت له تلك المقادير.

(٢) اقتصدت: اعتدلت. انعرجت: مالت عن ا لقصد. فبمقتصد وبمُنعرج: أى أن المقدورات متعلقة بالعبد إن اقتصد واعتدل أو مال وانعرج.

(٣) عجائبها: أى عجائب الحكم وأنواع المخلوقات. حُجَج: أدلة كمال وبراهين على وجود صانعها. قامت: استقامت أو دامت. الحِجج: السنن.

(٤) حَجَى: حقيق وخليق وجدير. مركوزته: أى دائرة القضاء ـ الإرادة الإلهية. فَعُج: فالتفت وانعطف. والمعنى: بأن مصدر القضاء القدرة الإلهية أقم وأثبت.

(٥) أعجل: اسرع. ولج: ادخل.

(٦) حاولت: طلبت. نهايتها: غاية الهدى، يؤنَّث ويذكَّر. العرج: مشية غير معتدلة لإصابة الرجل. والمعنى: التزم حسن الأدب من الثبات على طاعة الله تعالى وموافقة أمره.

(٧) السباق: السابقين. الفُرج: النواحى.

(٨) فهناك: أى فى تلك الفُرج. العيش وبهجته: أى الحياة الحسنة الكاملة. مبتهج: مسرور. المنتهج: السائر فى الطريق الواضح، أى: المتقى الله تعالى.

(٩) هج: يقال هاج الشىء إذا ثار وتحرك. ركدت: سكنت، أى: قلّت وضعفت. هجْتَ: أدمت الأعمال. تهج: تدم على ذلك.

(١٠) السماجة: القبح. تزدان: تتزين. الخُلق: ما طبع عليه الإنسان. السمج. القبيح.

ولطاعَتِهِ وصباحَتِها أنوارُ صباحٍ مُنْبَلِجِ[١]

من يخطُبْ حورَ الخُلدِ بها يظفرْ بالحُورِ وبالفَنَجِ[٢]

فكن المرضيَّ لها بتُقًى ترضاه غدا وتكونُ نَجِى[٣]

واتلُ القرآنَ بقلبٍ ذى حَزَنٍ وبصوتٍ فيه شَجِى[٤]

وصلاةُ الليلِ مسافَتُها فاذهبْ فيها بالفَهْمِ وَجِى[٥]

وتأمَّلْهَا ومعانيها تأتى الفردوسَ وتَنْفَرِجِ[٦]

واشربْ تنسيمَ مُفَجَّرِها لا مُمتزجا وبِمُمْتزِجِ[٧]

مُدِحَ العقلُ الآتيهِ هُدىً وهوىً مُتَوِّلٍ عنه هُجِى[٨]

وكتابُ اللهِ رياضَتُه لعقولِ الخلقِ بِمُنْدَرِجِ[٩]

وخيارُ الخلقِ هداتُهُمُ وسواهمْ من هَمَجِ الهَمَجِ[١٠]

---

(١) صباحتها: جمالها. منبلج: مضىء.

(٢) يخطب: يطلب التزويج من الله تعالى بطاعته. حور الخلد: نساء الجنة. يظفر: يفز. الفنج: ذوات حسن الدلال.

(٣) كن المرضى: كن الكفء. بتُقًى: بتقوى الله تعالى. ترضا، غدًا: تراه، مقبولاً يوم القيامة. نجى: بالوقف على لغة ربيعة. نجيا من المكروهات.

(٤) اتل القرآن: اقرأه متدبرًا. حزن: حزين. فيه: فى تلاوته. شجى: بصوت حزين رقيق.

(٥) مسافتها: مسافة التلاوة فى صلاة الليل. النهم: العلم.

(٦) تأمل: أى التلاوة فى الصلاة تفهم لها. معانيها: مقاصدها الدينية والدنيوية. الفردوس: أوسط الجنة ومنه تتفجر أنهار الجنة. تنفرج: تذهب عنك الهموم.

(٧) التسنيم: عين فى الجنة يشرب منها المقربون شرابها أرفع الشراب. مفجرها: ما يتفجر من الفردوس. لا ممتزجًا: غير مخلوط بغيره وهذا للمقربين، وممتزجًا وهذا للأبرار.

(٨) الآتيه هُدى: الذى فعل ما ذكرت من الطاعات. هوى: ميل النفس إلى الشهوة حلالاً أو حرامًا. متول: معرض عن الهدى. هُجى: ذُمّ وقُبِّحَ.

(٩) رياضته: تعليمه وتأديبه وإرشاده. بمندرج: الطريق واضحة بيّنة.

(١٠) هداتهم: المراد به العلماء العاملون. همج الهمج: الهمج جمع همجة وهى الشاة المهزولة والذباب الصغير الذى يسقط على وجوه الدواب.

وإذا كـــنتَ المـــقْـــدامَ فلا تجـزعْ فى الحـربِ من الـرَّهَجِ[١]

وإذا أبـصـرتَ مـنـارَ هُـدًى فـاظـهـرْ فـردا فـوقَ الـثَّـبَجِ[٢]

وإذا اشـتـاقتْ نـفسٌ وجـدَتْ ألمـاً بـالـشـوقِ المُـعْـتَـلِجِ[٣]

وثـنـايـا الحَـسْـنـا ضـاحـكـةٌ وتـمـنامُ الـضِّـحكِ عـلى الـفَـلَجِ[٤]

وعِـيَـابُ الأسـرارِ اجـتـمـعتْ بـأمـانَـتِـهـا تحتَ الـشَّـرَجِ[٥]

والـــرِّفْقُ يـــدومُ لـــصـــاحِـــبِـه والخَـرْقُ يـصـيـرُ إلى الـهَـرَجِ[٦]

صـلـواتُ الـلـهِ عـلـى الـمـهـدىِّ الـهـادى الـنـاس إلى الـنَّـهَجِ[٧]

وأبى بـــكـــر فى ســـيـــرَتِهِ ولـسـانِ مـقـالـتِه الـلَّـهَجِ[٨]

وأبى حـــفـــصٍ وكـــرامَـــتِه فى قـصـةِ سـاريـةَ الخُـلُجِ[٩]

(١) المقدام: الشجاع الكثير الإقدام. تجزع: الجزع ضد الصبر. الرهج: الغبار.

(٢) منار هُدى: الطريق الواضح المستقيم. الثَّبج: وسط الشىء ومعظمه.

(٣) اشتاقت: الشوق ميل إلى المحبوب تحترق به الأحشاء بحيث يسكن باللقاء. المعتلج: الشديد.

(٤) ثنايا: المرأة الحسناء الضاحكة. والثنايا: أربع أسنان، ثنتان من أعلى، وثنتان من أسفل. الفلج: تباعد منابت الأسنان وهو ممدوح حسن.

(٥) عياب: جمع عيبة، وهو وعاء من جلد تصان به الأمتعة. الأسرار: جمع سرّ وهو كل ما يكتم، والمراد بالأسرار أسرار الله تعالى فى خلقه مما حجبه عنهم فلم يطلع عليه أحدًا إلا من شاء ممّن اصطفاه سبحانه. اجتمعت بأمانتها: على حفظ أمانتها. الشرج: العيبة.

(٦) الرفق: التوسط والتلطف فى الأمر. الهرج: تحير البصر.

(٧) صلوات الله: جمع الصلاة باعتبار أنواعها، والمراد رحمته وسلامه، ولم يصرح به لضيق النظم. المهدى: الموفق الرشيد. الهادى: المرشد. النهج: الصراط المستقيم.

(٨) أبى بكر: الإمام خليفة رسول الله ﷺ، وأفضل الصحابة، ويقال له: عتيق لجمال وجهه. سيرته: طريقته. اللّهج: المثابر على الصدق.

(٩) أبى حفص: كنية عمر بن الخطاب الخليفة الثانى لرسول الله ﷺ، وكرامته: المعروفة الظاهرة. سارية: بمن حصنه أو الحصين، قائد جيش المسلمين فى نهاوند وقد أطلع الله سبحانه سيدنا عمر وهو يخطب على المنبر فى المدينة المنورة، فرأى العسكر بنهاوند وجعل يصيح: يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ. فصعد سارية وجنده الجبل وقاتلوا الكفار وهزموهم. الخُلُج: قوم من العرب من عدوان. وتقرأ الخَلج: أى المشتكى من التعب.

وأبى عمرٍ وذى النورين الـ ... مُستَحِى المُستَحيا البَهِجِ[١]

وأبى حسنٍ فى العلمِ إذا ... وافى بسحائبِه الخُلُجِ[٢]

«وعلى السِّبطَين وأمِّهما ... وجميعِ الآلِ بمُندَرِجِ

وصحابَتِهِم وقرابَتِهِم ... وقُفاةِ الإثرِ بلا عِوَجِ

وعلى تُبَّاعِهِمُ العُلَما ... بعوارفِ دِينَهُم البَهِجِ

يارِبِّ بهم وبآلِهِم ... عَجِّلْ بالنصرِ وبالفَرَجِ

وارحمْ يا أكرمَ من رَحِمَا ... عبدا عن بابِك لم يَعُجِ

واختمْ عملى بخواتِمِها ... لأكونَ غدا فى الحَشْرِ نَجِي

لكنى بجودِك معترِفٌ ... فاقبلْ بِمَعَاذى والحُجَجِ

وإذا بك ضاقَ الأمرُ فقلْ ... إشتدى أزمةُ تنفرجى»[٣]

---

(١) أبى عمرو: كنية سيدنا عثمان بن عفان ويقال له أيضًا أبو عبد الله. ذى النورين: لتزوجه ابنتى النبى ﷺ السيدة رقية ثم أم كلثوم. المُستحى: فقد روى أنه أحيا الأمة وأكرمها. والمُستحى فإن الملائكة كانت تستحى منه رضي الله عنه كما رواه البخارى وغيره. البهج: حسن الخلق والخُلق.

(٢) أبى حسن: كنية سيدنا على رضي الله عنه وكرم الله وجهه. السحائب: جمع سحابة وهى الغيم. الخُلج: المتفرق أو الكثير الماء، أى أتى بعلومه التى تشبه السحائب العظيمة النفع فى كل فن وناحية.

(٣) زيادة أثبتها بوذينه فى نشرته للمنفرجة، وأظنها من زيادات القارئين.